

نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی

دانشگاه شهید باهنر کرمان

دوره جدید، شماره ۲۵ (پیاپی ۲۲) بهار ۸۸

محمد مهدی الجواهری و أغراضه الشعرية* (علمی - پژوهشی)

دکتر یحیی معروف

دانشیار دانشگاه رازی کرمانشاه

محمد اعتمادی

مربی دانشگاه آزاد اسلامی واحد ایلام

چکیده

جواهری در طلیعه قرن بیستم در خانواده‌ای مذهبی دیده به جهان گشود. این شاعر انقلابی عاشق در خلال یک قرن نزدیک به بیست هزار بیت سرود. او جامع اضداد است به عبارت دیگر یکبار متنبی، بار دیگر بحتری و أبو العلاء معری، و در جای دیگر ابو نواس و عمر بن ابي ربیعة است، و از دیگر سو شریف رضی است. جواهری در هر روش از روشهای شعری وارد شده و به خوبی از عهده بر آمده است. در این مقاله جوانی از شخصیت او در خلال اغراض و مقاصد شعری وی به شرح زیر آمده است:

- ۱- مدح: هدف او از مدح، مطامع مادی یا موقعیت اجتماعی نبوده بلکه به آنسوی آفاق ممدوح نفوذ کرده و به او هشدار داده تا او را بدانسو که می‌خواهد، هدایت کند.
 - ۲- رثاء: اغلب اشعار رثایی او جنبه سیاسی و کمندی همراه با انتقاد از موقعیتهای خاصی دارد. او در این زمینه خالق ابداع و نوآوری است.
 - ۳- وصف: جواهری در وصف نیز به اوج خود رسیده است او تصاویر بدیع و دل انگیزی از وصف رودخانه‌ها، درختان خرما، سواحل و کوهها ترسیم کرده که تابلو درخشانی در آسمان شعر عربی است.
 - ۴- شعر سیاسی: بیشترین حجم در دیوان او شعر سیاسی است. سیاست معنایی جز فرو رفتن در گرداب حوادث، که به سرنوشت همگان مرتبط است، نیست.
 - ۵- غزل: او دیدگاه خاصی نسبت به زن دارد که مختص به اوست. ضمن این که غزل عربان او جنجال زیادی به پا کرده و سوالهای فراوانی را مطرح کرده است. او در ورای غزل عربانش انگیزه‌هایی نهفته دارد.
- کلید واژه‌ها: جواهری، اغراض شعر، مدح، رثاء، وصف، شعر سیاسی، غزل.

ملخص

طلع الجواهری على القرن العشرين من بيت أسواره الدين وأعمدته العلم والادب. هذا الشاعر، الثائر، العاشق، الجوال، أنشد ما يقارب عشرين ألف بيتاً بعد أن صال وجال وكابد وناضل ونفي وتشرد، عاقر الخمرة، غازل النساء وجاب البلاد. فهو جامع للأضداد يعني كان المتنبي تارة والبحتري تارة أخرى و أبو العلاء مرة وأبو نواس مرة أخرى؛ عمر بن أبي ربيعة مرة، والشريف الرضي أخرى. نحن من خلال البحث سنطرق الى جوانب من شخصيته من خلال أغراضه الشعرية التي حصرناها في:

۱- المدح: مدح الجواهری الكثيرين فلم يكن يهدف من ورائه مطامع مادية أو مواقع اجتماعية بل يخرج الى آفاق خارج الممدوح أو يقصد افادة الممدوح وتحذيره أو توجيهه بالوجه الذي يريده.

۲- الرثاء: فقد أجاد فيه وأغلبه يتخذ طابعاً سياسياً تهكمياً أو انتقاداً.

۳- الوصف: انه مارس الوصف ورسم صور النهر والنخيل والشواطئ والجبال فقدم لوحات زاهية في سماء الشعر العربي.

۴- الشعر السياسي: يعتبر الغرض الاكبر حجماً في ديوانه، فالسياسة في مذهبه لا تعنى سوي، الخوض في غمار الاحداث التي ترتبط بمصير الجميع.

۵- الغزل: له وجهة نظر خاص، تختص به في نظراته للمرأة. رغم ان غزله المكشوف آثار ضجة و جدلاً وتساؤلاً كثيرة، فلقد كان يكمن وراءه بواعث ودوافع.

الكلمات الرئيسية: الجواهری، أغراض الشعر، المدح، الرثاء، الوصف، الشعر السياسي، الغزل.

المقدمة

ولد محمد مهدي الجواهري عام ۱۹۰۳م بمدينة النجف الأشرف، أي تلك البقعة الرملية الممتدة من صحراء الجزيرة العربية الواقعة علي بعد أميال من أرض الكوفة الشهيرة. فقد كانت وما تزال مركزاً دينياً وسياسياً، واجتماعياً، وأديباً تضخ للبشرية كل حين برجالات وشخصيات لا يمكن اخفاء آثار أصابعهم علي أهم الأحداث والوقائع السياسية والأدبية والثقافية في العراق والعالم الاسلامي وتطوراتها، وكذلك لا يمكن اغفال دورها في بناء صرح الفكر الانساني بشكل عام. لقد كان الجواهري ابن النجف الاشرف ومن سلالة أسرة متقدمة عمقا" بالغاً في التأريخ الديني والسياسي والاجتماعي للنجف. ولد في بداية القرن العشرين ورحل في آخره، خاض غمار أحداث قرنٍ صعبٍ و معقدٍ وحافلٍ بالعجب العجائب، بدأ بالقرىض وهو في سن مبكر، اشتهر وملك الدنيا وهو لا يزال شاباً في مقتبل العمر. قيل عنه الكثير بدءاً من نابغة الشعر العربي، ومروراً بشاعر العرب الأكبر، وأمير الشعراء بعد شوقي، ووارث الشعر العربي وحافظه، ومتنبي العصر ورب الشعر، وانتهاءً بألقاب وأوسمة أدبية قلما حصلت وتحصل لشاعر عربي، والحق لا يمكن الظن بأن البني التحتية والأساس في كل هذه التسميات والأنواع غير ثابتة في أرض صلبة، خصبة معطاء، والا كيف صح أن اجتمعت عقول أدبية راسخة، ونجوم متألقة في دنيا الأدب يشار اليهم بالبنان لتعترف بقمة الجواهري، ولتهدي اليه بسخاء ما لا ينحدر اليه السيل ولا يرتفع اليه الطير من المنزلة والعظمة. والواقع أن الاحاطة بشاعر كالجواهري صعب جداً وبيان قراءة خاصة بشخصه وأدبه تمتاز بالشمول والالمام المطلوبين أصعب. فالكتابة عنه بمثابة الكتابة عن مائة عام عاشها بآلامها، وأفراحها بوعى ونبوغ يجسد عليه، وهي كذلك تعنى سبر أغوار آخر شاعر كلاسيكي، أصولي حفظ الشعر العربي من التيه والضياع واكسبه حداثة لا تزول معها أصوله الأولية من الجاهلية الى يومنا هذا، ومما يزيد الأمر صعوبة ندرة المصادر في هذا الشأن والموجودة منها قد لا يفى بالغرض المطلوب.

لا شك أن القاء الضوء علي مجمل أشعاره الذي أنشد ما يقارب عشرين ألف بيتاً خلال عمره المديد البالغ قرناً كاملاً، والذي أروع الطغاة والجبابرة، وحمل هموم الجماهير وبؤسها وحرمانها، حاملاً خشبته علي كتفه متنقلاً في البلدان والأقاليم - لممتليء احساساً، وقوة، وبراعة في التصوير وخلق الحالة مستجيباً للدواعي الاجتماعية والسياسية. وبغية ازاحة الستار عن الأغراض الشعرية التي يتطرق اليها الشاعر، بل عايشها روحاً وجسماً، ودفع عنها أثمناً باهضة، فالرجل ذو خيال واسع، عنيد، لا يقبل الخضوع، طموح الى أقصى حد، عاشق المجد، لا يستوعبه مجال وزمان.

وجدنا من الضروري التعرف علي البواعث الرئيسية لتفجر الشعرية لديه وسر تطور شعره، قبل خمسين عاماً تقريباً دار بينه وبين مؤلف كتاب «شعراء الغرى» حواراً أشار الى هذا الموضوع وفي معرض أجابته عن سر شاعريته قال: (الحاقاني، ج ۱، ص ۱۳۹) «لا أعلم وقد أستطيع التحدث عن سر الشاعرية مطلقاً، أما عوامل تطور الشعرية فعديدة، أهمها حب الظهور والتنافس، فقد كنت أقرأ شعراً لشعراء مشهورين وأناجي ضميري، بأنى هل أستطيع أن

أنال مقام ذلك الشاعر؟ أقول بتجرد عن الغرور، أنى وصلت الى اليوم الذى شعرت فيه بأنى كما أردت، وأنا مدين لهذا الشعور والاحساس، ودافع آخر هو أننى وجدت "لسوء الحظ أو لحسنه" من الجرأة علي الصدع بالقول أو الجهر به مالم يكن عند الآخرين». لقد صدق الجواهري نفسه في تصريحه هذا، كان في داخله ينافس الشعراء العظام أمثال المتنبي، وأبى تمام، والبحتري، وبشار، وشيخ المعرة، بل كان يري نفسه ليس فقط قريباً لهم، بل هو أكثر غروراً، وأكثر طموحاً وباحثاً عن المجد والخلود، بل لعله كان يري نفسه في حالة أخري رمزاً لبقاء أصوات هؤلاء العظام مدوياً في القرن العشرين. علي هذا فإنه لم يكن ليترك غرضاً شعرياً قد أفاد به القدماء، الا زين به قصائده، قد صال وجال مقتحماً جميع الأغراض الشعرية. ويكفي أن نلقى نظرة عابرة علي دواوينه الشعرية، لنري كيف أن الأغراض الشعرية تنقاد لقوافيه وتستسلم أمام فكره ولغته وكونه عاش الأحداث السياسية وتفاعل معها وكان هو من صلبها ومن اعدادها الاولي، لذلك نراه متأثراً بالغرض السياسى وتمتعماً فيه أكثر من بقية الأغراض، ومن الصعب أن نجد في أشعاره بعيداً عن الهم السياسى فهو شغله الشاغل، وعصب هدفه الشعرى، فقد خاض المعارك السياسية بجدارة فائقة، واختزل الزمن والمسافات، مفسراً كاشفاً منظرًا محلاً، وحاملاً لهموم يقتضيه طموح لا نهاية له، فهو المتنبي الكبير تارة، والبحتري تارة أخري، أو رهين المحبين أبو العلاء المعرى مرة، وأبو نؤاس بغداد أخري، فهو عمر بن أبى ربيعة مرة، والشريف الرضى أخري. ونود الاشارة الى جل شهرته يعود الى تعاطيه الشعر السياسى، فالسياسة كانت لب حياته، ويأتى في المرتبة الثانية شعره فى المرأة أو الغزل، فقد كان شعره فى المرأة لاسيما غزله المكشوف دائماً المثير للضجة، والجدل والتساؤل. وان كان غزله الأكثر اثاراً وعنفاً، فلقد كان يكمن وراءه بواعث ودوافع وعوامل تطرق اليها النقاد وباحثو الأدب العربى، سنشير اليها بشكل خاص من خلال طرح أغراضه الشعرية.

١- المدح:

اذا كان المدح يعتبر من أهم وأكثر وأشهر الأغراض الشعرية فى تاريخ الأدب العربى، فقد تطرق اليه جل شعراء العرب، وما من ديوان لشاعر عربى الا وللمدح بصمات واضحة عليه ومعلوم أن المدح فى الشعر العربى كان دوماً ينحى من خلال منحيين ويساق علي محورين، فقد كان المدح التكبسى والمدح غير التكبسى، يعنى مدح القيم، أو المدح النموذجى، الذى يري الشاعر فى الممدوح النموذج الأمثل، والأحسن، وهو المدح الحقيقى الذى يتقضي الظواهر الحقيقية الكامنة فى شخصية الممدوح.

لقد مدح الجواهري الكثيرين، علماء، رجال حكم، أدباء، شخصيات وطنية، ورموز ثائرة فى كل مكان. لا يختلف لديه ان كان الممدوح عراقياً أو عربياً، أو كان من قوم غير العرب، يكفى أن تتطابق شخصية الممدوح مع القيم والموازين أو الشروط التى كان يراها لازماً لكل ممدوح حتى يكون فى مستوي مدح شاعر كالجواهري. فلم يكن مدحه مدحاً يهدف من وراءه مطامع مادية أو يهدف الى الحصول علي مواقع اجتماعية أو سياسية، فقد كان مدحه دائماً يستند علي الأحوال والظروف الخاصة من الناحية الزمنية والسياسية والاجتماعية. ومن مميزات مدحه، أنه يتفرع فى المدح ويخرج الى آفاق خارج الممدوح، أو يقصد فى مدحه افادة

المدوح وتحذيره أو توجيهه بالجهة التي يريد لها، وهو صادق في مدحه، ذو شفافية، يرسم لوحة رنانة، يبقى مع المدوح ويشتهر به، وحتى أن السمات البارعة التي ينسبها إلى مدوحه قد تطفئ علي شخصيته وقد تخلق منه شخصية أخرى في عيون الآخرين. انه في العشرينيات وفي بداية نبوغه الشعري وفي خضم أحداث ثورة العشرين وما تلاها مدح رجال الثورة ومجدهم أيما تمجيد. (من قصيدة ثورة العراق، الجواهري في العيون ...، ص ٤٥)

وَدَعُوْةٌ مَشْهُودَةٌ	تَدْعُو لِيَوْمٍ يَشْهَدُ
قَامَ بِهَا مُقَلِّدٌ	بِعِزْمِهِ مَجْتَهِدٌ
مُحَمَّدٌ وَمُعْجِزٌ	مِثْلُكَ يَا مُحَمَّدُ

وبأق بعد تعظيم قائد الثورة ومحركها آية الله الشيرازي إلى دور أبناء الشعب في هذه الثورة العارمة:

يَرَوْنَ أَقْصَى مَطْمَعٍ	فِي الْحَرْبِ أَنْ يَسْتَشْهَدُوا
كَأَنَّمَا لَيْسَتْ لَهُمْ	نَفُوسُهُمْ وَالْوَلَدُ

ثم يميل ليعتبر هذه الثورة ثورة كل العرب:

يَا ثَوْرَةَ الْعَرَبِ انْهَضِي	لَا تَخْلُقِي مَا جَدَّدُوا
لَا عَاشَ شَعْبٌ أَهْلُهُ	لِسَانِهِمْ مُقَيَّدُ

عمل الجواهري في تشريفات الملك فيصل الأول مدة، وقد خص الملك بعدة قصائد مدح

فيها الملك وخصه بصفات وخصال مميزة:

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ خَيْرِ بَارِعٍ	يَزِنُ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابٍ
يُعْنَى بِمَا تَلْدُ اللَّيَالِي حَبِطَةً	وَيَعْدُ لِلْأَيَّامِ أَلْفَ حَسَابٍ
مُتَمَكِّنٌ مِمَّا يَرِيدُ بِنَالِهِ	مَوْفُورٌ جَاشٌ هَادِيءُ الْأَعْصَابِ
وَإِذَا الشُّعُوبُ تَفَاخَرَتْ بِدِهَاتِهَا	فِي فَضٍّ مُشْكَلَةٍ وَحَلٍّ صِعَابٍ
جَاءَ الْعِرَاقَ مِبَاهِيًا بِسَمِيدِ	بَادِيَ الْمَهَابَةِ رَائِعٍ جَذَابٍ

وبعد أن يستمر بالقاء الصفات والمآثر علي الملك، يرجع إلى طرح نفسه بعنوان الشاعر النبيه الذي بإمكانه أن يترصد الأمور: (ديوان الجواهري، ج ٢، من قصيدة إلى جنيف، ص ٥٦)

إِنِّي هَزَزْتُكَ بِالْقَوَافِي قَاصِدًا	بِكَ خَدْمَةَ التَّارِيخِ وَالْآدَابِ
أَطْنَبْتُ فِي غُصَصٍ لَدَى كَثِيرَةٍ	تَبِيئَاتُهَا يَدْعُو إِلَى الْإِطْنَابِ
لِي حَقٌّ تَمْحِصُ الْأُمُورَ كَوَاحِدٍ	مِنْ سَائِرِ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ
إِذَا أُصِبتُ فَخَصَلَةٌ مَحْمُودَةٌ	وَإِذَا زَلَّكَتُ فَلَسْتُ فَاقِدَ عَابِ

وبعد وقوع ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م سارع إلى تأييدها ومباركتها باعتبارها تحقيقاً لأمل كل الجماهير، وقد مدح زعيم الثورة عبد الكريم قاسم بقصائد عديدة، وكان بينهما علاقات

صميمية حتى قيل ان الجواهرى قد وجد فيه سيف الدولة: (نفسه، ج ٥، ص ٣٨؛ من قصيدة المستنصرية)

أعد مجد بغداد ومجدك أغلبُ وجدد لها عهداً وعهدك أطيّبُ
وأطلع عليّ المستنصرية كوكباً وأطلعته حقاً، فإنك كوكبُ
أقمت بها عزاً عريقاً مكعباً وكان بها ذلُّ عريقٌ مكعبُ

ثم يملئ علي الزعيم ما يراه مناسباً ومقام الثورة من القاب وأوسمة:

أبا كل حرٍّ لا أبا الشعبِ وحدهُ إذا احتضن الأحرار في أمّة أب

انه لم يقتنع باعتبار عبد الكريم قاسم أباً للشعب العراقي بل تعداه في ذلك الى أب جميع الأحرار في العالم، حينذاك يري نفسه وقد تقرب الى قلبه مستغلاً المناسبة ليطلب منه إطلاق سراح بعض المسجونين ويكون لهم لديه شفيحاً:

أبا كل حرٍّ لي إليك شفاعَةٌ فهل أنا ذيك الشّفيحُ المقرَّبُ

ويقول:

هنالك فيما بين متويٍّ وآخر شباب عن الأفراح في العيد غيبُ
حنائك لا تغضب عليهم بظنّه فللموت من سُخطِ المحبين أطيّبُ

ومن هنا بدأ الجواهرى بتحذير عبد الكريم قاسم من مؤامرات قد تحاك ضد الثورة:

أبا الشعب لأخفيك بتاً يهزئني وما أنا للخلل الصريح مرؤبُ
تسرّب همس أن فقعا بقرقر يُعيد شراكاً للهزبر وينصب (٢)

(٢) مروب: غاش؛ فقعا بقرقر: كناية عن مخلوق ضعيف، الهزبر: الأسد الكاسر.

في عام ١٩٥٣م وبمناسبة تتويج الملك فيصل الثاني علي عرش العراق وذلك بوصاية خاله الأمير عبد الاله، ألقى الجواهرى في حفل التتويج قصيدة في مدح الملك والوصى، وبعد سنين من ذلك اعتبر الجواهرى هذه القصيدة هاوية وقع فيها، أو لحظات ضعف، وانتقد نفسه وشاعريته في ذلك، وهذه من خصائصه فهو علي الرغم من اباؤه وغروره لكنه في لحظات الهفوة يعترف اعتراف النائب العائد. في كتاب الجواهرى صناجة الشعر العربي في القرن العشرين، تناول الدكتور زاهد محمد زهدى هذا الموضوع بالتفصيل. وعلي الرغم من أن الدكتور يضم صوته الى أصوات منتقدي هذه القصيدة، لأنها كانت في زمن كان الألم يعصر بالعراقيين والتعسف والظلم كان ينهش جسم المجتمع العراقي، لقد أخطأ الجواهرى في تقديره لزمن انشاد هذه القصيدة، علي الرغم من كل هذا فقد دافع الدكتور دفاعاً حسناً عن الشاعر وقال: فاذا كان السادة الذين تصدوا للجواهرى يأخذون عليه قصيدة مدح لهذا أو ذاك من رجال الدولة في الثلاثينيات من هذا القرن فيطالبون برأسه لهذه الأسباب وبشطبها من قائمة القوي الوطنية، فماذا يتوجب علينا أن نفعل بشعر أبي عبادة البحترى مثلاً حين يمدح خليفة العباسي المتوكل قائلاً:

قد جعل الله الى "جعفر" حياة الدين وقمع الشقاق
طاعته فرضٌ وعصيانُهُ من أعظم الكفر وأعلي الشقاق

وما هو رأيهم حين يعزى البحترى المتوكل بوفاة أمه:

لئن رزئت التي مامثلها امرأةً لقد أتيت الذي مامثله رجلٌ
والناس كلهم في كل حادثة "فداء نعلك" أن يعتالك الزللُ
ثم ما رأي هؤلاء السادة، شائى الجواهري بالشاعر العظيم أبي الطيب المتنبي وهو يمدح كافوراً:
قالوا هجرت إليه الغيث، قلت لهم:
إلي الذي تهب الدولات راحتُه ولا يمن علي آثار موهوب
(١) الشؤبوب الدفعة من المطر الشديدة وجمعه شأبيب قال ابن جني يقول تركت القليل من
ندي غيره إلى الكثير من نداء.

ثم يقول هاجباً الأستاذ الذي مدحه، يعنى كافوراً، فيقوله في هجائه:
إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود
هل نشط علي البحترى وعلي المتنبي مثلما يحاول البعض من هؤلاء السادة الأفاضل أن
يشطبوا علي الجواهري العظيم لمجرد أنه مدح بعض رجالات العهد الملكي؟ واذن فنحن انما
ندرج قصائد الجواهري في مدح بعض أقطاب الحكم في العراق في أوقات مختلفة في باب
الصراعات والمناورات بين هؤلاء الحاكمين. ولقد قال في نقد قصيدته في التتويج "لقد اغتصبت
في تلك الزلة ضميري. لأنني وبمحض ارادتي هرولت مسرعاً الى تلك الهاوية" ولكن هذا لم
يرض خصومه علي الاطلاق. (زهدي، ص ٣٤٩) نورد مقاطع من قصيدة التتويج:
(الجبورى، ص ١٢٦)

ته يا ربيع بزهرك العطر الندي وبضوئك الزاهي ربيع المولد (١)
باه السما ونجومها متشعشع
يا أيها "الملك" الأغر تحية
أنا غرسكم أعلي أبوك محلتى
ما كانت الزلفي ذريعة مغنم
يا ابن البتول وفيك عز شمائل
(١) ته: من تاه يتبه تيهًا: تكبر، تائهة: المتكبر؛ شعشع: انتشر، شعشع الضوء انتشر.

٢ - الرثاء:

إذا كان الرثاء ممزوجاً مع المدح في الشعر العربي، أى أن الرثاء في الواقع هو مدح بفارق أن
المدوح هنا ميت. ولقد كان للموت وقع خاص لديه سواء بالنسبة اليه أو بالنسبة الى أطرافه.
فقد أجاد الجواهري رثاء أحبائه أو الذين كان يعتبرهم نماذج تاريخية، فقد رثاهم ورثا معهم
المجتمع وحتى رثا نفسه معهم. مما يمتاز به رثائه قياساً الى رثاء بقية الشعراء هو أن الشاعر قد
يتخذ الرثاء ذريعة للدخول في مفردات كثيرة ومتنوعة، وأغلب الرثاء في شعره يتخذ بالتالى
طابعاً سياسياً تهكمياً، أو انتقاداً لظروف خاصة، أو مطالعات سياسية واجتماعية يبين فيها
الشاعر آرائه المستخلصة من تجاربه السياسية والاجتماعية. فالرثاء عنده ينقسم الى رثاء
خاص وهو للمقربين من أهله ومعارفه، ورثاء عام ينشده لرموز وشخصيات سياسية،

اجتماعية، أدبية. رثاء، رثاء عاطفي يجيش مع الأحاسيس الصادقة التي تعبر عن احتراق داخلي للمفقود. وهو من القلائل في اتخاذ رثاء نفسه، ويعود رثاء النفس هذا، الى ما كان يراه من غمائم سود في رحاب الأفق السياسية، والأجواء التي كانت تحيط به، وهو علي الرغم من كونه مشهوراً بالتفاؤل بحتمية حصول التغيير وعدم بقاء الأرضية لظلم الظالمين وطغيان الطغاة، لكنه لا يفتأ يتذكر الموت، هذا الهاجس الخطير الذي ليس لأحد إبعاده عن نفسه. وهو القائل:

مَنْ مِنْكُمْ رَغِمَ الْحَيَاةَ وَعَيْبَهَا لَمْ يَحْتَسِبْ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حَسَابِ
أَنَا أَبْغِضُ الْمَوْتَ اللَّئِيمَ وَطَيْفَهُ بَغْضَى طَيُوفِ مَخَاتِلِ نَصَابِ
ذَنْبٌ تُرْصِدُنِي وَفَوْقَ نُيُوبِهِ دَمٌ أَحْوَتِي وَأَقَارِبِي وَصَحَابِي

في قصيدة "حافظ ابراهيم"، رثي الجواهري الشاعر حافظ ابراهيم وكان رثاءه في الواقع رثاءً لنفسه وللآخرين الذين يخطفهم الموت لا محالة، قال: (الجواهري في العيون من أشعاره، ص ١١٢)

نَفَا إِلَى الشَّعْرِ حُرًّا كَانَ يَرَعَاهُ وَمَنْ يَشِقُ عَلَيَّ الْأَحْرَارَ مَنَعَاهُ (١)
أَفْتِي الزَّمَانَ عَلَيَّ نَادٍ "زَهَا" زَمَانًا بِحَافِظٍ وَكَتْسَيَّ بِالْحُزْنِ مَعْنَاهُ

(١) منعه: نعيه؛ مغناه: نشيده.

ثم يستغل الجواهري رثاء حافظ ابراهيم لي طرح من جديد نظراته وتشائمه من الموت:

صَحِيَّةَ الْمَوْتِ هَلْ تَهْوَى مَعَاوِدَهُ لَعَالِمُ كُنْتَ قَبِيلاً مِنْ ضَحَايَاهُ
مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ جَهْلُ الْعَيْشِ مَبْدَأُهُ وَالْهَمُّ وَأَسْطَةُ، وَالْمَوْتُ عُقْبَاهُ

أما في رثاءه لأمير الشعراء أحمد شوقي ومن خلال قصيدته عام ١٩٣٢م فإنه قد جعل حفل التأبين، مجلساً للبكاء علي الأدياء والمفكرين، بل رثاءً للفكر والإنسانية: (ديوان الجواهري ج ٢ ص ١٣٣)

طَوِي الْمَوْتَ رَبَّ الْقَوَافِي الْعُرْرُ وَ أَصْبَحَ شَوْقِي رَهَيْنَ الْحُفْرُ
وَجِئْنَا نُعَزِّي بِهِ الْحَاضِرِينَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْسٍ فِيمَنْ حَضَرَ

ومن هنا يقفز الجواهري الى نظريته تنازع البقاء وحتمية الصراع وبالتالي الرحيل والموت ان شئنا أو أبيتنا:

وَلَكِنْ يَرِيدُ الْفَتَى أَنْ يَدُومَ وَلَوْ دَامَ سَادَ عَلَيْهِ الضَّجْرُ
وَيَأْبَى التَّنَارُحُ طُولَ الْبَقَاءِ وَتَأْبَاهُ بَعْياً نُفُوسٌ أُخْرُ

وهنا يسجل الجواهري قمة التصوير والتمثيل في رداء الرثاء:

"شكسبير" أُمَّتَهُ لَمْ يُصِبْهُ بِالْعِي دَاءٍ وَلَا بِالْحَصْرِ
كَأَنَّ عَيُونَ الْقَوَافِي الْحَسَا نِ مِنْ قَبْلِ كَانَتْ لَهُ تَدَخْرُ
وَأَنْ اصْدَقْنَ "فَشَوْقِي" لَهُ عَيُونَ مِنْ الشَّعْرِ فِيهَا حَوْرُ

ولقد أبدع الجواهري في مجال الرثاء أجمل الابداع، وخلق معجزة شعرية قد لا تضاهيها أخرى، وهي قصيدته الرائعة في رثاء أبي الأحرار الأمام الحسين (ع) «آمنت بالحسين»، فقد سجل سطوراً حماسية خالدة، أضافها الى ما قيل من شعر النعي والرثاء علي الحسين (ع). ولم

يكن عبثاً بكتابة خمسة عشر بيتاً بالذهب علي الباب الرئيسي الذي يؤدي الى الرواق الحسيني (من المتقارب)

فداءً لمثواك من مَضَجَع
تَتَوَرَّ بِالْأَبْلَجِ الأَرُوعِ (١)
بَأَعْبَقَ مِنْ نَفْحَاتِ الجِنِّا.....نِ رُوحاً وَمِنْ مَسْكِهَا الأَضُوعِ
وَرَعِيأً لِيَوْمِكَ يَوْمَ الطُّفُوفِ
وَسَقِيأً لِأَرْضِكَ مِنْ مَصْرَعِ
فِيابِنَ "البَتُولِ" وَحَسْبِي بِهَا
ضَمَاناً عَلَيَّ كُلِّ مَا أَدْعِي

(١) الأبلج: وضاء الوجه؛ الأروع: المعجب بشجاعته أو حسنه.

ومن الممكن القول أن براعة هذه القصيدة تعود الى الأرضية النجفية للجواهري، حيث المنابر الحسينية وأيام عاشوراء ومجالسه، وهنا يصل الى بيان صراع الحق مع الباطل وعدم استسلام الامام الحسين (ع) للباطل، و اباؤه وشجاعته بتقديم نفسه رخيصاً للهدف الأسمى:

وَعَفَّرْتُ خَدِّي بِحَيْثُ اسْتَرَأ.....حَ خَدُّ تَفَرَّرِي وَلَمْ يَضْرَعِ (١)
وَحَيْثُ سَنَابِكِ خَيْلِ الطُّغَا.....ةٍ جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعِ

(١) لم يضرع: لم يضعف ولم يتذلل.

وفي لحظات قدسية يتأمل الجواهري ويرى أنه قد يتقن بالاعتماد علي عقله دون أى مصدر آخر، بأن السر في هذا الاباء وفي هذا الشموخ الذي يستنكف عن عرض الحياة الداني ويتسلق سلم المجد، يكمن في عظمة الامتداد النبوي عبر الامامة، والذي هو امتداد للوحي:

وَأَمَنْتُ إِيمَاناً مِنْ لَأَيَّرِي
سَوِي العَقْلِ فِي الشُّكِّ مِنْ مَرَجَعِ
بَأَنَّ الأَبَاءَ، وَوَحَى السَّمَاءِ
وَفِيضَ النُّبُوَّةِ، مِنْ مَنَّبَعِ
تَجَمَّعَ فِي جَوْهَرٍ خَالِصِ
تَنْزَهَ عَنْ عَرَضِ المَطْمَعِ

في عام ١٩٥٦م دُعي الجواهري الى دمشق للاشتراك في حفل تأبين الشهيد عدنان المالكي، وقد نظم قصيدة في رثاء الشهيد ولكنها كانت قصيدة سياسية أشار فيها الشاعر الى جملة أمور سياسية ومؤامرات كانت تحاك ضد الأمة العربية في العراق وسوريا وقد اشتهرت هذه القصيدة اشتهاً بالغاً وأى محفل يذكر فيها الجواهري يذكر معه غاشية الخنوع: (الجواهري في العيون من أشعاره، ص ٣٧٦)

حَلَّفْتُ غَاشِيَةَ الخُنُوعِ وَرَائِي
وَأَتَيْتُ أَقْبَسَ جَمْرَةَ الشَّهْدَاءِ
مِنْ عَهْدِ "قَابِيلِ" وَكُلِّ ضَحِيَّةِ
رَمِزُ اصْطِرَاعِ الحَقِّ والأَهْوَاءِ

وعندما يتم توصيف حالته السياسية وهروبه من العراق، يرجع ليرثى المالكي، يجعل من رثاءه مجلساً لعرضه فالشهادة في عرف الأبطال عرس للعروج والارتقاء.

قَفِ بِي فَلَسْتُ بِمَأْتَمِ الرِّثَاءِ
أَيَّهَانَ عَرَسِ رُجُولَةٍ بِيكَاءِ

ثم يحاول استنطاق الشهيد لتكتمل اللوحة وليتطرق الى الأوضاع السياسية في بلده وقيود الأحلاف:

عَدْنَانُ أُطَّقِنِي فَقَدْ حَنَقَ الشُّجَا
بِقَمِي البَلِيغِ مَقَالَةَ البُلْغَاءِ
حَاسِبَتْ نَفْسَ الأَنَاءِ تَرْدَهَا
فِي مَعْرَضِ التَّنْصِيحِ لِلأَيْمَاءِ
أَسْطُورَةَ "الأَحْلَافِ" سَوْفَ يَمَجُّهَا
التَّارِيخُ مِثْلَ خِرَافَةِ الحُلَفَاءِ (١)

(١) المقصود هو- حلف بغداد - الذي كان الشهيد في جملة الاحرار الشجعان الذين يناصبونه العدا.

٣- الوصف

لقد قيل قديماً ان الأصل في الأغراض الشعرية هو الوصف، بل أن بقية الأغراض عمادها الوصف، سواء كانت مدحاً أو رثاء، أو حماسة، أو غزلاً، أو فخراً، أو أى غرض آخر، فالوصف هو الغرض الشعري الذي به يستبان قدرة الشاعر الابداعية ونفوذ خياله في تجسيد الرموز المطلوبة وترسيمه في لوحة فنية يستدوقها المتلقى، فبراعة التصوير هي التي تجعل المتلقى يحس بلذة الشعر، ومن ثم يحمله التأثير بوقعه الفني، وتأتي المضامين والأشكال الفنية الاخرى في مرتبة بعد هذا الوصف.

علي الرغم من أنه قد بدأ مشواره مع الشعر متفاعلاً مع قضايا سياسية كبرى، الا أن الوصف لديه قد بدأ يتفجر عنده من خلال تأثره العميق بالطبيعة الايرانية عبر زيارتين قام بهما لايران في عامي ١٩٢٦ - ١٩٢٤م وهو ينهر انبهاراً بجمال وروعة الجغرافية والطبيعة في ايران وتراه قال عن ذلك: (ذكرياتي ج ١، ص ١٢٢) فمن النجف المحاطة بالسور العتيق المتهاوى وقبورها، لا أريد أن أظلم شواطئها الصغيرة والجميلة معاً، من هذه البيئة وبحق وأمانة ففيما يفصل بين صورها الحزينة هذه وبين بهجة الرملة الحمراء، فقد شاءت الصدفة أن أتجاوز ذلك بسفرتي الأولى ربوع ايران، واذا بي بين الينابيع الدرارة والسهول الخضراء والجبال الشاهقة العملاقة وأغاني الرعاة والبدو الرحل أصحاب المقامات الشهيرة وبأنغام الناي الجميل والحان "التار" الساحرة للذين ظلا بأسران النفوس قبل الأسماع منذ آلاف السنين» فأنشد قصائد عديدة في وصف الطبيعة الخلابة لايران، مثل قصيدة الريف الضاحك، وقفة علي كوند، علي دربند، الحريف في فارس، في شميرانات طهران.. وغيرها. وكانت أغلبية هذه القصائد جاءت من وحي صفاء الجو، واعتدال المناخ وعذوبه الهواء للطبيعة الايرانية الساحرة علي حد قول نفسه. ولقد قال أيضاً: ففي هذه المقاطع، وقليل من غيرها، استطعت أن أعرف ما هو الشعر الطبيعي، وكيف تنور النفس الشاعرة، وتختلج الفكرة، ويدب المعنى ويختلق النفس. جاء في قصيدة بريد الغربة في وصف شميرانات طهران: (ديوان الجواهرى ، ج ١، ص ٣٦٠)

هَبَّ النَّسِيمُ فَهَبَّتِ الْأَشْوَاقُ
وهفا اليكم قلبه الخفاقُ
هي "فارس" وهواءها ريح الصِّبَا
وسماؤها الأغصان والأوراقُ
"شمران" تُعجِبُنِي، وزهرة روضها
وهواءها ونميرها الرِّقْرَاقُ

الى أن يقول:

وعليه من وَرَقِ الْعُصُونِ سِرَادِقُ
مَمْدُودَةٌ وَمِنْ الضَّلَالِ رِوَاقُ
في كلِّ غُصْنٍ لِلْبَلَابِلِ نَدْوَةٌ
وَبِكُلِّ عَوْدٍ لِلْغِنَا إِسْحَاقُ

وقال في قصيدته "علي دربند" عام ١٩٢٦م:

قُرِّي نُظِّمَتْ نَظْمَ الْجَمَانِ قَلَانِدًا
أو الدُّرِّ مَزْدَانًا أو الماسِ رِصْعًا
صفوفٌ من الأشجار قابلن مثلها
كما مصرع في الشعر قابل مصرعاً
وَقَفَّتْ عَلَيَّ النَّهْرُ الَّذِي مِنْ حَرِيرِهِ
فرعتُ من الشعرِ الإلهي مَطْلَعًا

لقد عبر عن جمال وبداعة مصيف دربند في طهران، ففكر فلم يجد أحلي وأدق ترتيباً وتنظيماً للصورة الرائعة في قلائد الجمال أو الدرر والاماس الذي يبهر العيون والقلوب معاً، ليقترب التشبية لدرك سحر و جذابية هذه الطبيعة. و هو في وصفياته لا يبتعد عن شاعره المحبوب رسام الوصف الشعري أبي عبادة البحتري، فهو يحاكي الطبيعة والجمادات ليشكل رباط حى مع الانسان ويزقها بالحركة والنشاط. رغم أنه لا يوصف بشاعر الوصف ولم يصل في هذا الى محبوبه البحتري الا أنه مارس الوصف ورسم صور النهر والنخيل والشواطئ والجبال فقدم لوحات براقية في سماء الشعر العربي، مثل "بغداد علي الغرق"، "الفرات الطاغى"، "الغراف الميت"، "بعد المطر"، "يا فراقى" و "دجلة في الخريف" و "دجلة الخير"، أنه في لوحاته هذه يقف علي الماء رمز الحيوية ليضفي حياتاً ونشاطاً علي كل شيء، ولعل هذا يرجع الى عشقه الكبير لرافدين العراق الخالدين واللذين هما رمز البقاء والحيوية في العراق، قال في قصيدة "بعد المطر": (نفسه، ج ١، ص ٣٠٦)

عاطي نبات الأرض ماء السماء
أوشكت القيعان إذ فتحت
ما لأعاطيه كؤوس الرحيق
لها السماء، مما عراها تضيق

ويتحول الى ما بوسع المطر أن يبعث الروح والحياة في كل شيء لاسيما حين يأتي الربيع الطلق:

جاء الربيع الطلق فاستبشري
كل وجه الأرض مكسوة
غريمك البرد طريد طليق
لفائف الأزهار حتى الطريق

و ها هو يصل الى أعلي صورته الوصفية في "يا دجلة الخير"، وهو بعيد عنها ليخطط علي قلبه الخفاق ماءها، وشواطئها، وسفحها، فيناديها، ويشكو اليها، ويوعدها اللقاء: (الجواهري في العيون ... ص ٤٢٨)

يا دجلة الخير يا نبعاً أفرقه
حييت سفحك ظمناً ألود به
علي الكراهة بين الحين والحين
لوذ الحمايم بين الماء والطين
يا دجلة الخير: يا أطياف ساحرة
يا خمر خابية في ظل عرجون

وفجأة يصف دجلة الحب، دجلة الخير بوصف جديد فيه خشونة فيه شكوي سببتها الغربة و البعد:

يا سكتة الموت، يا إعصار زوبعة
يا خنجر العدر، يا أغصان زيتون

٤- الشعر السياسي

يعتبر الشعر السياسي الغرض الاكبر حجماً في ديوان الجواهري، وذلك أن هذا الغرض هو الوسيلة والهدف معاً، لقد جمع بينهما، أي جمع بين روعة وقمة الفن الشعري وبين الاحتراف السياسي، والسياسة في مذهبه لا تعنى سوي، الخوض في غمار الأحداث، الأحداث التي ترتبط بمصير الجميع، فهي ليست من باب التملق السياسي وارتداء زي السياسيين بغية مطالب ومكاسب، بل السياسة عنده المقاومة، عدم الركون، الغربة والابعاد، هذه هي مفرداته السياسية والشعرية. وقد تشابكت وتلاحمت قصائده مع حياته السياسية، فلا شعر دون مقاومة الطغاة، و دون الوقوف في الصف الامامي في مظاهرات الشعب، ولا شعر دون تمجيد الشهداء والوقوف

مع المظلومين والمنكوبين، ومقارعة أعوان الاستعمار وأذنايه، فهو سجل حافل بالتاريخ السياسي للعراق والأمة العربية. لا يمكن لمن يريد أن يدرس الأوضاع السياسية في العراق منذ مطلع القرن العشرين وحتى الثمانينيات، تجاهله، شاعراً سياسياً، صانعاً للأحداث، محركاً للتطلع والآمال، حامياً للضعفاء والمحرومين، حاضراً في قلب المسيرة وكأنا السياسة عاجزة عن التخلي عنه ولا الجواهري بإمكانه التجزؤ والانفراد دونها، ولعله الشاعر الذي امتاز بين أقرانه من فطاحل الشعراء لم يركن، ولم يهدأ، ولم يخمد وكانت عصاه في كل حال علي أهبة الاستعداد ودون كلل:

أنا حتفكم ألج البيوت عليكم أغرى الوليد بشتمكم والحاجبا

بعيداً عن كل مقاله الجواهري تبقي الصورة السياسية والغرض السياسي هو الطابع الأكثر وضوحاً والأكبر مساحة في شعره. واليوم لا يمكن للمؤرخ المنصف لتاريخ العراق الحديث أن يكون صورة موضوعية عن نضال الشعب العراقي في سبيل حرياته الديمقراطية وحقه في المواطنة الكريمة، والمشاركة في الحكم دون أن يقرأ ديوانه قراءة متفحصة، وأيا كانت الصورة التي يخرج بها فانه لا يستطيع أن يهمل دور الكلمة الشعرية هذه، لسنا نقصد بذلك أن شعره أصبح وثيقة تاريخية بالمعنى الضيق للكلمة، بل نغني أن شعره كان التعبير الفني الأكثر صدقاً ونضوحاً عن معاناة الشعب العراقي ومأساته الدامية، وبالأخص منذ أربعينيات هذا القرن وحتى الوقت الحاضر. (الراضي، مجلة المدي، عدد ١٩) لقد ذاعت شهرته ذيوغاً كبيراً لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن وصل صوته الى ساحة شعر الوطن العربي كله، واقترن اسمه بتاريخ العراق السياسي الحديث. (علوان، ص ٢٥٧) فقد صرخ للعراق، وصرخ لكل العرب في مصر، ولبنان، وفلسطين، والمغرب، والجزائر وسوريا، فقد استوعب فضلاً عن العراق ومصائبه هموم الوطن العربي:

يتبجحون بأن موجاً طاغياً سَدُّوا عليه مَنافذاً ومَسَارِيا
كذبوا فَمَلءَ فَم الزمان قصائدي أبدأ تجوب مشارقاً ومَعَارِيا
تستل من أظفارهم وتحطُّ من أقدارهم، وتتلُّ مجدداً كاذبا

لقد أكتنز في خياله كل ما مر علي قومه وبلاده من عسف وجور من الحاكمين خلال القرون السبعة المظلمة، ورأي مجتمعه الذي يعج بالمشاكل والعقد، فاندفع يصور ذلك ويفهم الجيل الحائر بما يتصوره من مثل وآراء وسلوك (الخانقاني، ص ١٦٠) اشتهر بلقب شاعر العراق الأكبر، وصار من مشاهير الشعراء وأكثرهم نظاماً في الشعر السياسي والاجتماعي، وربما لا تجد حدثاً في العراق والوطن العربي لم يتناوله في شعره (الفتلاوي، ص ٦١٣) فلاعجب أن يشتمل شعره علي السياسة، اشتمال الجسم للروح، فهو يعيش أحداثاً جسام، يري سقوط الدولة العثمانية ويسمع تراتيل الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، ومن ثم خمود الثورة ونفى قائدها، وقد جسد الحادثة بقصيدته "سجين قبرص" حين قال:

هي الحياةُ بإخلاء وإمراء تَمْضِي شعاعاً كزندِ القادح الواري
سجيةُ الدهرِ والبُلوي سجيتهُ تقلبُ بين اقبالٍ و إدبارِ

من هنا يستهزأ بالاستعمار البريطاني ووعوده الكاذبة:

ما للتمدن لا ينفكُ ذا بدعٍ في الكون يأنف منها وحشة الضارى
 كم ذا يسمون أحراراً وقد شهدت فعالمهم أنها من غير أحرار
 ثم علي عاداته ينهض بالعرب ويدعوهم الى الوعى والفتنة وتجنب الاعغال والوقوع فريسة
 لخداع وخيانة الاعداء: (من قصيدة سجين قبرص، الجواهري في العيون، ص ٦٢)
 نهضاً بنى العرب العرباء إلكم فرائسُ بين أنيابٍ وأظفارٍ
 أرقدةً وهواناً أن بعضهما مما يفت بأصفادٍ وأحجارٍ
 ولا يفوت الجواهري وهو يعيش أعظم حدث سياسى فى تاريخ العراق الأ وهو ثورة
 العشرين ضد الاستعمار الانكليزى. فانبري لها وساندها ونظم قصيدة "الثورة العراقية" التى
 ناهزت الخمسة وثمانين بيتاً، متباهياً بطولات الثوار وخاصة زعيم الثورة المرجع الدينى
 الشيرازى داعياً الشعب الى وحدة الكفاح وازالة الخلافات المذهبية من أجل وحدة الامة
 وانتصارها حينما قال:

لعل الذى ولي من الدهر راجعُ فلا عيش إن لم تبق الا المطامعُ
 تُحدث أوضاع العراق بنهضة تُرددها أسواقه والشوارعُ
 وصرخة أغيار لانهاض شعبيهم وإنعاشه تستك منها المسامعُ
 ثم يوجه خطابه الى ناشئة العراق وشبابه باعتبارهم الأمل والعمود الفقرى لمستقبل ثورة
 العراق:

لنا فيك يا ناشيء العراق رغائب أيسعُ فيها دهرنا أم يمانعُ
 ستأتيك يا طفل العراق قصائدى وتعرفُ فحواهن اذ أنت يافعُ
 وهنا يخاطب قائد الثورة العشرينية ويوصفه بالقائد الذى ينام بعين وبأخري ساهرة عن
 أبناء الشعب ليتقيهم شرور الأعداء: (من قصيدة الثورة العراقية، ديوان الجواهري، ج ١، ص
 ١٠١)

ومحي الليل ألتم يحمى بطرفه ثغوراً أضاعتها العيون الهواجعُ (١)
 مهيب اذا رام البلاد بلفظة تدانت له أطرفهن الشواسعُ
 ينام يا حدى مقلتيه ويتقى بأخري الأعادي فهو يقظان هاجعُ

(١) الهواجع: جمع هجع، النوم، العيون الهواجع: العيون النائمة
 هذا هو الجواهري الشاعر السياسى الذى يتزاحم رؤساء الأحزاب السياسية والقواد بياه،
 فقد كان صوتاً يطالب بالاستماع اليه كل قادم الى العراق مما اضطر رجال السلطة الى دعوته،
 مما زاد فى شهرته تلك، الصحف التى أصدرها (الموسوى،، ص ١٥٩) فالجواهري من شاعر
 نجفى، ثم مدرس فى المدارس، الى رئيس تشريقات أقوى ملك عربى فى حينه، وهو الملك
 فيصل الأول ملك العراق، والى الجواهري الصحفى المحرك للأحداث، والنائب الممثل للشعب فى
 المجلس الوطنى، هذه كلها عوامل أصقلت الروح الشعرية لديه نحو السياسة، لتكون السياسة
 هى البعد التعبيري المجسد لآلام وأمانى الأمة. أما علي مستوي الوطن العربى فقد غنى
 الجواهري للعرب جميعاً أنشد للمظلومين فى فلسطين، أنشد لمصر وسوريا، والجزائر، وتونس،
 وبقية أرجاء الوطن العربى، أما قصائده الذائعة الصيت "غاشية الخنوع"، و«فاحت جروح

فلسطين» و«باق أعمار الطغاة قصار» و«الثورة السورية»، و«أطبق دجي» و«يوم الشهيد» و«أخي جعفر»، و«يا دجلة الخير» و«يا أمتي يا عصبة الأمم» الا غييض من فيض ابداعاته لتسخير القافية في خدمة الأحداث السياسية. هذا و تأثر الجواهرى من البعد العالمى والعوامل الأخرى التي أوجدت لديه توجهاً سياسياً أدبياً، وأثرت تأثيراً مباشراً علي الشعر السياسى لديه صعوداً وتألّفاً. فلقد كان له حضور في أرقى وأشهر المؤتمرات الدولية، وألّقي في حياته بأعلام مشهورة لهم الأثر الخالد علي الابداع البشرى بشكل عام. فقد حضر عام ١٩٤٨م أول مؤتمر للسلام العالمى في بولندا وكان ضمن الوفد الثنائى هو وطه حسين لتمثيل العالم العربى في هذا المؤتمر، ولأسباب مجهولة يتفرد بالحضور ويتغيب طه حسين عن المؤتمر ليصبح هو ممثل العرب الوحيد، ولقد التقى علي هامش هذا المؤتمر بالفنان العالمى «بيكاسو»، والشاعر «بابلو»، والروائى الشهير «البرتومورافيا» و«مدام كورى» وغيرهم (الراضى، مجلة المدي، عدد ١٩) وطالما قال: (نفسه) «لا يزال في نفسى أثر لا يحى لأولئك الرجال العظام الذين تركوا بصماتهم الخالدة في كل مجال من مجالات الحياة وفي سير الاحداث في العالم» لقد كان في موقع تكريم وتمجيد من قبل مؤسسات عالمية ثقافية وسياسية، فالموسوعة البريطانية العالمية الشهيرة اختصت الجواهرى باعتباره واحداً من المشاهير في العالم وكذلك الموسوعة البريطانية، العربية الجديدة أشارت اليه بصفته من مشاهير الشخصيات في العالم وذلك في رسالة بعثتها الى الشاعر (الجواهرى في العيون، ص ٣٩). لا ريب انه لا يستطيع أن يتخلص من نزعته السياسية حتى وهو يلتقى بصديقيه ابراهيم عبد القادر المازنى واسعد داغر ببغداد: (الموسوى، ص ١٦١)

أَسْعَدُ إِنْ حَدِيثِي إِلَيْكَ حَدِيثٌ مَقِيمٌ إِلَى ظَاعِنِ
حَدِيثَ أَخٍ لَكَ مُسْتَأْنَسٍ لِلطُّفِّ مُسَامِرِهِ رَاكِنِ
أَخَافُ السِّيَاسَةَ خَوْفَ اللَّذِيذِ غِ مِنْ أَرْقَمِ نَافِخِ شَاحِنِ

وحتى في مناجاته مع نفسه وحواراته النفسية تطفح بالقضايا السياسية ويتحرق ويتلوع لامر السياسة التي لم تأت علي ما يريده، أو لم تكن متألّفة مع طموحاته وآماله. في قصيدة يا "أبن الثمانين" قالها وكأنه يخاطب العراق في ثمانينه بعد عقود من المسرات والأوجاع عاشها الجواهرى والعراق في بدن واحد، قال "يا ابن الثمانين" وفي نفسه غصة أن يري العراق ويموت فيه ولكن: (جريدة الزوراء، عدد ١٥٥)

حَرَبٌ عَلَيَّ كُلِّ مَوْهوبٍ وَمَوْهَبَةٍ لَدَيْهِ مُسْرِجَةُ الْأَضْوَاءِ وَالشُّعْلِ
ثَبَّتْ جَنَانُكَ لِلْبُلُوبِيِّ فَقَدْ نُصِبَتْ لَكَ الْكَمَائِنُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ حَتْلِ

لقد كان الشعر السياسى للجواهرى شعراً ملتزماً واعياً للظرف السياسى، مترجماً لجزءيات الأحداث السياسية للعامة من الناس يفوح منه رايجد الدم والتحدى المكشوف متبعاً للنظرية الجواهرية التي تقول "أقول الشعر وليحدث ما يحدث" وجامع الحيدرخانه شاهد باق، وكذلك مناطق أخرى من بغداد. وها هو يتصدر غضبه الجماهير وتجمعهم في تأبين شهداء الوثبه عام ١٩٤٨م، شهداء الجسر بما فيهم الشهيد جعفر أخو الجواهرى، حيث يصرخ بوجه الطغاة ويعلن:

أَتَعْلَمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ؟ بَأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا فَمَ تُ؟

فَمَ لَيْسَ كَالْمَدْعَى قَوْلَهُ
وَلَيْسَ كَأَخْرَ يَسْتَرْحِمُ
يَصِيحُ عَلَيَّ الْمُدْقِعِينَ الْجِياعُ
أُرِيقُوا دَمَاءَكُمْ تُطَعَمُوا (١)
وَيَهْتَفُ بِالْتَفْرِ الْمُهْطَعِينَ
أَهِينُوا لِثَامِكُمْ تُكْرَمُوا
أَتَعْلَمُ أَنَّ رِقَابَ الطَّغَا.....
ةً أَثْقَلَهَا الْعَنَمُ وَالْمَأْتَمُ
وَأَنَّ يَطُونُ الْعُنَاةَ الَّتِي
مِنَ السُّحْتِ تَهْضُمُ مَا تَهْضُمُ

(١) المدقعين: الأشد فقراً؛ المهطع: الذليل؛ العناة: الطواغيت، السحت: المال الحرام.
ثم يللمم هتاف الجماهير وغضبهم، ليزقههم بشحنات ساخنة يفور بها السخط الدموي
والاعتراض الصارخ:

أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
تَظَلُّ عَنِ الثَّأْرِ تَسْتَفْهَمُ
أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
مِنَ الْجُوعِ تَهْضُمُ مَا تَلْهَمُ
تَمْصُ دَمًا ثُمَّ تَبْغِي دَمًا
وتَبْقِي ثُلُوحًا وَتَسْتَطْعِمُ
الى أن يصل الى الأعلان عن طلب الثأر، وأنه لا محالة فالقتلة سوف يحاسبون، وأن دماء
الشهداء لا تذهب هدراً: (ديوان الجواهري، ج ٣، ص ٢٤٣)

أَخِي جَعْفَرًا لَا أَقُولُ الْخِيَالَ
وَذُو الثَّأْرِ يَقْظَانُ لَا يَحْلُمُ
وَلَكِنْ بِمَا أَلْهَمَ الصَّابِرُونَ
وَقَدْ يَقْرَأُ الْغَيْبَ مُسْتَلْهِمُ
أَرِي أَفْقًا بِنَجِيحِ الدَّمَا.....
ءِ نَوَّرَ وَآخَتْفَتِ الْأَنْجُمُ
صُرَعْتَ فَحَامَتُ عَلَيْكَ الْقُلُوبُ
وَحَفَّ لَكَ الْمَلَأُ الْأَعْظَمُ
أَخِي جَعْفَرًا بَعْهُودِ الْإِخَا.....
ءِ خَالِصَةً بَيْنَنَا أَقْسَمُ
وَبِالِدَمْعِ بَعْدَكَ لَا يَنْشَى
وَبِالْحَزَنِ بَعْدَكَ لَا يَهْزَمُ

اما حادثة المسبح ومناسبة تكريم هاشم الوتري عميد كلية الطب، فحدث ولا حرج، حيث
أن الأوضاع العامة في العراق كانت أوضاع اعتقالات، تعسف، مدهامات والبلد في فوضى
عارمة يُدعى الجواهري الى الحضور في هذه المناسبة، أي مناسبة قبول الدكتور هاشم الوتري
في الجمعية الطبية البريطانية، ولمواقف الدكتور الوطنية، ولرغبة جامحة للجواهري بتحدى
الطغاة يقبل الدعوة، الحضور رسمي وشعبي، وزراء، وزراء سابقين، ممثل البلاط الملكي وكان
ذلك في العام ١٩٤٩م، لم تمض الا شهور علي قنبلة الجواهري في أخي جعفر، ويصعد
الجواهري والعيون تترقب الليل العنيف:

مَجَّدْتُ فِيكَ مَسَاعِرًا وَمَوَاهِبًا
وَقَضَيْتُ فَرَضًا لِلنَّوَابِغِ وَاجِبًا
بِالْمُبْدَعِينَ الْخَالِقِينَ تَنَوَّرْتُ
شَتَّى عَوَالِمَ كُنَّ قَبْلَ خُرَابِيَا
شَرَفًا «عَمِيدَ الدَّارِ» عَلِيَا رُتْبَةً
بُوتْتَهَا فِي الْخَالِدِينَ مَرَاتِبًا
وَلَأَنْتَ صُنْتَ الدَّارَ يَوْمَ أَبَاحَهَا
بَاغٍ يُنَازِلُ فِي الْكَرْيَهَةِ طَالِبًا (١)

(١) بوا: نزل فيه واقام او دخل فيه، بوتتها: دخلت في اعلي مقام؛ أباحها: هتك حرمتها، باغ:

طاغ

ثم يميل بسيفه نحو كبار القوم الجالسين في الصفوف الأمامية ليقول:
إِبِهِ عَمِيدَ الدَّارِ كُلِّ لُثِيمَةٍ
لَأُبْدُ - وَاجِدَةً لُثِيمًا صَاحِبَا

ولقد رأي المستعمرون فرائساً
أعرفت مملكة يباح شهيدها
خبرت أنك لست ترح سائلاً
وتقول كيف يظل نجم ساطع
أنيك عن شر الطغام مفاجراً
(١) سائب: مشرد، لاصاحب له.

هنا تصل القلوب الى الحناجر، الكل في صمت قاتل، هدوء قبل العاصفة، عيون المتصدرين بدأت تقذح شراراً، وتملأ غيضاً وتحرق هنا وهناك، لعل الجواهرى يهدأ أو علي الأقل لا يكمل القصيدة، أما الجواهرى العنيد، السياسى الشاعر هذه هى فرصته الذهبية، وساحته القتالية. اذن ليغتنم الفرصة وليحصل ما يحصل، فهو يدري بعاقبه الأمور، أنه السجن طبعاً، ألم يجهز عائلته، ألم يرسلهم الى النجف بعيداً، فليقو كلمته، فليجهز عليهم جميعاً: (من قصيدة هاشم الوترى، ديوان الجواهرى، ج ٣، ص ٣٩١)

ماذا يضرّ الجوع؟ مجدّ شامخ
أعلمت هاشم أى وقد جاحم
أنا ذا أمامك مائلاً متجبراً
آليت أفتحم الطغاة مضرّحاً
أنى أظل مع الرعية ساغبا
هذا الأديم تراه نضواً شاحبا؟
أطأ الطغاة بشسع تعلّى عازبا (١)
إذ لم أعوذ أن أكون الرائباً

(١) شمع النعل: خيط النعل.

وفى ذكرى تأبين الزعيم الوطنى اللبناى عبد الحميد كرامى، دُعى الجواهرى عام ١٩٥١م للمشاركة فى هذا الحفل التأبينى وأنشد قصيدته المشهورة التى فيها:

باقى، وأعمار الطغاة قصار
متجاوب الأصداء نفح عبيره
ثم يخاطب لبنان ويناجيه و يدخل الموضوع الذى يريد و ان سيكون فى ذلك طرده وابعاده
عن لبنان، فهو لا بد له من القاء ما يريد وما يقصد و ان كان ضعيفاً، و ان كان فى لبنان فلبنان
عنده هو العراق، لا اختلاف فى أمر السياسة و الظالمين:

لبنان نجوي مرة و سرار
ماذا يراد بنا و أين يسار
أعقاب لبنان تُدس و كره
(١) سمار: جمع سامر أى الذى يتحدث مع جلسيه ليلاً و يقال لا افعله ابداً ما تسم سامر
«المعجم الوسيط».

وأخيراً يأتى علي بيت القصيد، أو الهدف من القصيدة، ليلقى نفسه بعد الالتقاء مطروداً و ممنوعاً
من دخول لبنان، لا يضره ذلك، فلن يخاف من هذا: (الجواهرى فى العيون، ص ٣٢٢: من
قصيدة عبد الحميد كرامى)

تنهى و تأمر فى البلاد عصابة
خويت خزائنها لما عصفت بها
ينهى و يأمر فوقها استعمار
الشهوات، والأسباط و الاصهار

وَتَبَيَّنُوا أَنْ لَا وَجَارَ بَيْنَهُمْ
حَتْفًا وَلِلضَّبِّ الضَّلِيلِ وَجَارٌ
فَهُمْ وَفَرَطُ الْحَقْدِ لَأَثَ دَمَاءَهُمْ
كَلْبٌ بِهِمْ لَدِمَائِنَا وَسَعَارٌ

خلاصة القول أن هناك عوامل كثيرة، منها تتعلق بالشخصية الفذة للجواهري ومنها تتعلق بالظروف السياسية الدولية علي المنطقة العربية، قد أثرت علي قريحته الشعرية، وأصبح الشعر السياسي سواء كان مدحاً، أو رثاءً، أو حدثاً، أو مناسبة الطابع الغالب علي مجمل شعره، فهو شاعر الوطن والأمة الانسانية.

٥- الغزل

عندما نقول الغزل في شعر الجواهري، طبعاً لا نقصد الغزل المعهود، ذلك الغرض الشعري الذي تطرق اليه جل شعراء العرب من الجاهلية الي الزمن المعاصر، فالغزل في أغراض الجواهري الشعرية يختلف تماماً، فهو ليس عرضاً شعرياً فنياً وحسب، بل له وجهة نظر خاص، تختص به في نظراته وتلقياته للمرأة. فللدخول في بحث غزله، يقتضى التريث، والأناة، أو بالاحري لنتهيأ ولنقول الجواهري والمرأة، أو الجواهري والنساء، فله كما لبقية الشعراء، جولات ومواقف تتحدد في أطار جملة عوامل دفعته لنحت تمثال المرأة في قلبه وفي حياته. ذلك تعود الي تلك المسحة المزاجية الحادة الساخنة، المنقلبة التي لا تستقر علي قرار، التي لا تهدأ، لا تخمد، تعترض بسرعة، تثور بسرعة، تعطى بسرعة، انها علاقة ذو اشكالية يصحبها الجدل المتعنف ما بين حدة المزاج والثورية الراسخة في الجواهري وما بين اللطافة والبداعة والجمال الساحر، التي يهويها ويذيب فيها أبدأ. وطبعاً شعره في غزلياته المنحصرة به، لا يرتقى الي مستوي شعره في السياسة والاجتماع، فهو قياساً الي مجمل شعره يعد قليلاً، بل قليلاً جداً. وحتى في قياس الابداع الشعري فان شعره في المرأة يظل دون بقية أشعاره مرتبة وبراعة، وان أضفاه بقدرته التراثية وخلفيته الثقافية. لا يمكن لغزله أن يذكرنا بغزل العرب و العذريين الذين ساروا في هيام الحب، ونسوا فيه حتى أنفسهم، بل كانت المرأة معابد للالهام والنشوان والسعادة الروحية والنفسية، فهي عندهم أبدأ نماذج سامية، وأثمار ممنوعة القطف، يكفي أن يحترق القلب ويهيم الشاعر وينظر اليها وان علي بعد، لتكون قمراً وبدراً وأزاهير. فبمجرد التقرب منها أو لمسها واحساسها أو قطفها من شجرتها العالية، اذاً ذلك طعن في نموذجيتها وتقليل من هيبتها وتكفير لألهة العشق والعشاق. أما نموذج الجواهري، فالأمر يختلف كثيراً، ولتبيان العلاقة الجواهريية بالمرأة يتطلب في البدايه أن نلقى نظرة سريعة علي المرأة في رحاب فكره، لنري كيف ينظر الي المرأة، أو ما هي بواعث نظرتة الخاصة، ودواعيه وأسبابها، ثم نميل الي النموذج النسائي علي أساس رؤيته وخطابه فيه. حيث يمكننا تقسيم رؤيته للمرأة من خلال محورين: الأول: المرأة في البعد الاجتماعي والحضارى. الثانى: المرأة في دائرة الارتباط العاطفى.

الف: المرأة في البعد الاجتماعي والحضارى

بالنسبة للمحور الاول فان الجواهري كان ضمن الشعراء المعدودين الذين طالبوا بتحرر المرأة من الكثير من التقاليد السائدة في عصره. والتي كانت تجلب الغبن والاحتقار لها، فطالب ودافع بكل جدية بتجديد النظرة الي مكانة المرأة ودورها في المجتمع، لاسيما في التعليم،

وخاض في وقت مبكر في النجف مع غيره من شعراء النجف الذين طالبوا بتثقيفها وتعليمها. وقد قال في هذا المجال من خلال قصيدته "علموها": (ديوان الجواهري، ج ١، ص، ٤٦١)

عَلِّمُوهَا فَقَدْ كَفَّكُمْ سُنَّارًا وَكَفَّهَا أَنْ تَحْسَبَ الْعِلْمَ عَارًا (١)
وكفانا من التتهقر أنا لم نعالج حتى الأمور الصغارا
تحكم البرلمان من أمم الدني انساء تمثل الأقطارا
ونساء العراق ثمع أن تر سم خطأ أو تقرأ الأسفارا

(١) سنار: العار والعيب والنقص؛ التتهقر: الرجوع الى الوراء.

والمرأة الأم، الزوجة، المربية... فان للجواهري معها مواقف مشرفة ورؤية تدل علي العمق في الانسانية والعلاقة الحضارية التي تتطلب النظر اليها بقدسية واحترام فائقين. وعن مربيته «تفاحة» المرأة الزنجية التي كان لها الأثر الكبير في تلقين الجواهري أسطورة الحب للخير والعطاء. فقد جاء في قصيدته «احببت الناس»: (الجواهري، خيال...، ص ٣٤٦)

حُبِّتِ النَّاسَ لِلنَّاسِ حُبِّتِ النَّاسَ وَالْأَجْنَاسَ
في الزنجية الحلوة من لفت وأهلها بأكياس (١)

أنشد الجواهري قصيدة «ناجيت قبرك» بعد وفاة زوجته أم فرات وكان في حينه في بيروت وعند سماع خبر رحيل زوجته قفل راجعاً وأنشد القصيدة علي قبرها: (ديوان الجواهري، ج ٢، ص ٣٥١).

في ذمة الله ما ألقى وما أجد أهذه صخرة أم هذه كبد
قد يقتل الحزن من أحبائه بعدوا عنه فكيف بمن أحبائه فقدوا
حُيِّتِ (أم فرات) إنَّ والدَةَ بمثل ما انجبت تُكْنَى بما تلد
عَطِي جَنَاحَكَ أَطْفَالِي فَكُنْتُ لَهُمْ نَعْرًا إِذَا اسْتَيْقَظُوا، عَيْنًا إِذَا رَقَدُوا

ب: المرأة في دائرة الارتباط العاطفي

أما المحور الثاني من علاقته بالمرأة، فهو الموضوع والقضية، التي قيل في شأنها الكثير، كيف للجواهري صاحب الأسرة العريقة بالدين والوجاهة الاجتماعية، أن يبيل مع العاطفة، أن يعشق، أن يحب، والمجتمع والبيئة هو مجتمع النجف، حيث التحفظ والتزمت فضلاً عن التقاليد الموروثة بالنسبة للمرأة والعلاقة بينها وبين الرجل. ولكن الجواهري الذي كان قد ضاق ذرعاً بهذه القيود والحدود وهو المتمرد العنيف! ولعل تمرده علي واقعه كان يلازمه التصرف المتطرف والتعامل الساخن مع المرأة في شعره. وقد هزته هزات حب عنيفة وهو لا يزال بالنجف الأشرف وهو كطبيعة أي شاعر متفجر بدأت ثورة الشعر تنمو فيه شيئاً فشيئاً يصاحبها دوافع داخلية نحو مملكة العشق والغرام. فقد عشق المرأة وهو في الثامنة من عمره: (الجواهري، ذكرياتي، ج ١، ص ٦١). «فيما أنا بين السابعة والثامنة من عمري، تلقيت درساً جديداً علي وهو الأعجب والألطف من بين كل الدروس التي تعلمتها، وهو العشق العنيف والعميق، وأن التقى بفتاة ما أروع صورتها الماثلة أمام عيني وقد كانت تكبرني في أقل تقدير بما يزيد علي عشر سنوات، وأياً كان الأمر فقد عشقتها، وهي بدورها أحببتني حباً عنيفاً حب الفتوة للصبوة» لقد أحب فتاة أخرى في العشرين من عمره كان اسمها نهاية، وقد قال عنها: (نفسه،

ص ٦٣) «كنت وأياها وأنا في الصبوة وجهاً لوجه وعيناً لعين، وصورة لصورة، فقد وجدتني هذه المرة في صميم الفراغ من استلهاً هذا الجمال أو من اختطافه واقتطافه». ولكن لم يتوقف الحب عنده علي هذا الحد، فلقد كان يحمل في قلبه غليان ثورة عارمة، لا يمكن لهكذا صور غرامية يسد جراح قلبه الطاغى، ولم يكن لمجتمع النجف وبيئته استيعاب هذا الفوران السائر نحو التمرد والطغيان. قال: انى عشت في بيئة تسيطر عليها الأعراف والتقاليد البالية بيئة يكاد يمنع فيها حتى مجرد التلامس والتقابل بين الرجل والمرأة، فيما هو أمر مفروغ منه في المجتمعات الأخرى (نفسه، ص ١٢٧) وهنا يبدأ تمرد علي البيئة، التقاليد، الأعراف، الضوابط الشرعية وينزع ثوبه البالي ليبدأ مسيرة أخرى:

أنا إن كنتُ مرهقاً في شبابي مُثقلًا بالهموم والأوصاب
فمتى أعرف الطلاقة والأنس ألما أكون تحت التراب

فهو أحب النساء كثيراً، الا أن حبه أيهن كان له مزاياه الخاصة جداً، مزايا الشخصية الحادة، المزاج، رقتها او عنفها وبتعبير آخر الشخصية المتطرفة في تعاملها مع الناس والأشياء، علاقة الجواهري بالنساء علاقة اشكالية معقدة محفوفة بالمخاطر، وكم مرة تراه فيها يذوب جداً حيال حضور امرأة جميلة (بغدادى، مجلة المدي، عدد ١٩) ومن هنا جاءت فترة الغزل المكشوف أو الماجن في قصائده ابتداءً بـ «جربيني» و«الزغرة» و«ليلة معها» و«وادي العرائس»، «بنت بيروت»، و«عريانة» و«صورة للخواطر»، وغيرها من القصائد الماجنة، وتمتاز هذه القصائد بدقة تصوير مفاتن المرأة وجسدها وتصوير هذا الجسد تصويراً غريزياً، جنسياً ذات عاطفة حسية لا تهدف الا لتحقيق المرام مع المرأة واعتبارها وسيلة للتمتع واللذة و لا غير. جدير بالذكر أن أشعاره المجونية والغزل المكشوف بقيت تقريباً لأوائل عقد الثلاثينيات، وهى قصائد غزل ماجن، خيالية صرفة لم يكن الجواهري صاحب أى تجربة في هذا المجال، وما تلك القصائد الا استجابة لرفض واقع غير مقبول لديه، أو استجابة لانطلاق غرائز مكبوتة كانت تبحث عن متنفس تنحصر من خلالها. من قصيدة جربيني نظمها الشاعر وهو في ريعان شبابه عام ١٩٢٧م ونشرتها جريدة العراق آنذاك وكان نشرها فاتحة عالم الشعر المكشوف، وقد أثارت في حينها ضجة كبيرة، وكان يعمل في بلاط الملك فيصل الأول وعلي أثرها استقال من البلاط. (ذكرياتى، ج ١، ص ٢١٧)

جربيني من قبل أن تزدريني واذا ما ذممتيني فاهجريني
ويقينا ستندمين علي ألك من قبل كنت لم تعرفيني
لا تقيسي علي ملامح وجهي وتقاطيعه جميع شؤوني
أنا لى في الحياة طبع رقيق يتنافي ولون وجهي الحزين
أنا ضد الجمهور في العيش والتف كير طراً وضده في الدين
متعيني قبل الممات فما يد ريكما بعده، وما يدريني

بعد ضجة هذه القصيدة وعتاب الملك فيصل له، يقول خرجت من عند الملك وأنا أقسم بالطارق والنجم الثاقب، ان أعود، وأضحى بألف ألف وظيفة في سبيل أن أعود، وقد عدتُ

بعد ذلك عوداً بما لا يقل ان لم يزد علي جريبي أي النزغة هذه هي أبيات من قصيدة النزغة: (نفسه، ص ٢١٦)

لك في هذه الحياة نصيب	أغنمية انتهازه وافتراسه
فالليالي بلهاء فيها لمن يحسن	ابساسه لها، اسلاسه (١)
كل هذا ولست أنكر اني	من لذاذاتها اختلست اختلاسه
ثم كانت دعا به فمجون	فارتخاء

(١) الابساس: المداراة والتلطف. الأسلاس: الرقة والانسجام والخفة.

فهو أنشد في قصيدة "عريانة" صفحة أخرى من الأدب المكشوف في عام ١٩٣٢م، والقصيدة تصوير حسي لجسد المرأة ومفاتها من الصدر الى القدمين، ورأينا أن لأنأق بالقصيدة هنا اجلالاً للأدب والحشمة. (الجواهرى في العيون، ص ١٠٩)

أنت تدرين أننى ذو ليانة	الهوى يستشير في المجائة
وقوافي مثل حُسنك لما	تتعريين حرة عريائة
وإذا الحب ثار في فلا تمنع	أى احتشامة ثورائه
فلماذا تحاولين بأن أُعلن	ما ينكرُ الوري إعلائته

لقد مر الغزل لديه بما فيه شعره الماجن المكشوف بمراحل ابتداء بالشعر العنيف والحسى الماجن مرحلة العشرينيات ومروراً في بداية الثلاثينيات الى نوع من التخفيف في حدة المجون وانتهاء بمرحلة الاربعينيات والعودة الى الغزل الوصفى دون الحسى وهو مرحلة كهولة الشاعر وتأثير عامل السن عليه. يقول الدكتور زاهد محمد زهدى (الجواهرى صناجة ...، ص ١٥٣) يمكن أن نضع قاعدة مطردة لنفسية الجواهرى فيما يخص الجنس والغزل، ان أهم ما يشغله في فترة شبابه كشرقى في بيئة محافظة هو الجنس المطلق، مهما كان مصدره، مادام يوفر للشاعر شعور الانتصار، ومادام يجعله مخدوعاً يتصور أنه حصل علي ما يريد، وهذا لا يمكن أن يتحقق قطعاً في بيئة مغلقة، فالاختيار لا يتنافى الا في مجتمع منفتح كالمجتمعات الغربية، أما البيئة المغلقة فالمعروض قليل والطلب شديد لذلك لا يمكن اعتبار الشاعر مختاراً في تجاربه الجنسية الأولى. قد بدأ الاحساس الجنسي الحاد يتبدل بتقدم السن وهذا طبيعى، ثم أثر به الاتصال البعيد بالبيئات الخارجية وزيادة أفقه الثقافى في الموضوعات التى تعالج هذا الباب، لا من زاوية الشرقى ابن الفترة المظلمة ووريثها التى تقوم علي الشك ولكن من زاوية التقديس للمرأة والارتفاع بها وتسجيل دوافع الشوق اليها قبل تصوير التجارب التى تجرى عليها عند الحصول عليها، وتصوير دوافع الشوق هو شعر الغزل الحق. ورغم التبدل الذى أصاب الجواهرى فاننا لا نجد الغزل عنده يصل الى نفس مستوي أشعاره الاجتماعية الاخرى. وخير مصداق علي ما قاله الدكتور زهدى هو قصيدة "أنيئا" التى تعبر عن قصة عشق حقيقية عاشها الشاعر وهو في باريس عام ١٩٤٩م، حيث كانت بمثابة التحول العاطفى لديه، وهو مرحلة وصف العاطفة والنفس بدلاً من الوصف الحسى لجسد المرأة. وقد قال عنها الجواهرى نفسه (ديوان الجواهرى، ج ٣ ص ٣٥٢) «كان حباً عارماً لا يريد، ولا يقدر لو أراد، أن يقف عند حد، كان كأنه يتفجر عند "ينبوع" خفى ثجاج».

انى وجدتُ "انيت" لاح يهزنى
ألق الجبين أكادُ أمسحُ سطحَهُ
طيف لوجهك رائع القسمات (١)
بِقَمِي، وأنشق عطره بشذاقي
(١) انيت او (أنيتا) اسم معشوقته الفرنسية؛ ألق: اضاءة ولعان.

المصادر و المراجع

- بصرى، مير، *أعلام الأدب فى العراق الحديث*، الطبعة الأولى، لندن: دار الحكمة، بدون تاريخ.
- بيضون توفيق، حيدر، محمد مهدي الجواهري شاعر العراق الأكبر، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م.
- الجبورى، عبد الله، *الجواهري نظرات فى شعره وحياته*، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م.
- الجواهري، خيال، *الجواهري وسمفونية الرحيل*، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩م.
- الجواهري، محمد حسن، *جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام*، ج ١، طهران: دار الكتب الاسلامية.
- الجواهري، محمد مهدي، *الجمهرة*، بتحقيق و اشراف الدكتور عدنان درويش، دمشق: ١٩٨٥م.
- الجواهري، محمد مهدي، *الجواهري فى العيون من أشعاره*، دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.
- الجواهري، محمد مهدي، *ديوان الجواهري*، سبع مجلدات، بغداد: مطبعة الأديب، ١٩٧٢م.
- الجواهري، محمد مهدي، *ديوان الجواهري*، الجزء الأول والثانى، صيدا: المكتبة العصرية ١٩٦٧م.
- الجواهري، محمد مهدي، *ذكرياتى*، الجزء الأول والثانى، الطبعة الأولى، دمشق: دار الرافدين، ١٩٩٨م.
- الخاقانى، على، *شعراء العري*، الجزء العاشر، الطبعة الثانية، قم: مطبعة بهمن، ١٤٠٨ هـ.ق.
- الخياط، جلال، *الشعر العراقي الحديث*، الطبعة الثانية، بيروت: دار الرائد العربى.
- زهدى، محمد زاهد، *الجواهري صناجة الشعر فى القرن العشرين*، بيروت: دار القلم.
- شامى، يحيى، *موسوعة شعراء العرب*، الجزء الثالث، بيروت: دار الفكر العربى.
- شعبان، عبد الحسين، *الجواهري جدل الشعر والحياة*، بيروت: دار الكنوز الاسلامية، ١٩٩٧م، الموقع على الأترنت: www.nfsl-libya.com/arabic/artides/jawahiri
- الطاهر، على جواد، *مقدمة على الجزء الأول من ديوان الجواهري*، ط: بغداد.
- عباس علوان، على، *تطور الشعر العربى الحديث فى العراق*، بغداد: وزارة الاعلام، بدون تاريخ.
- العلوى، هادى، محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية، بغداد ١٩٦٩م.
- الفتلاوى، كاظم عبود، *المنتخب من أعلام الفكر والأدب*، ط: ١، بيروت: مؤسسة المواهب، ١٩٩٩م.
- المظفر، محمد رضا، *عقائد الأمامية*، الطبعة الثانية، قم: مكتبة شكوري، بدون تاريخ.
- الموسوى، عبد الصاحب، *حركة الشعر فى النجف الاشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجرى*، ط: ١، بيروت: دار الزهراء، ١٩٨٨م.

- مغنية، محمد جواد، مع علماء النجف الاشرف، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- مقدمه الدكتور نجاح العطار، ديوان الجواهري في العيون من أشعاره.
- المنديلاوي، صباح، في رحاب الجواهري، ط: ١، دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠م.

الصحف والمجلات

- صحيفة الاتجاه الآخر، هولندا: العدد ٢٣، تموز ٢٠٠١م.
- صحيفة الاتحاد، سليمانية: العدد ٣٩٤، أيلول ٢٠٠٠م.
- صحيفة الزوراء، الترويج: العدد ١٥٥، تشرين الثاني، ٢٠٠١م.
- صحيفة الوركاء، دمشق: العدد ٣، تشرين الأول، ١٩٩٤م.
- صحيفة خه بات، أربيل: العدد ١٠٠٠، ٢ تشرين الثاني، ٢٠٠٠م.
- مجلة الأقلام، بغداد، العدد ٢، ١٩٧٨م.
- مجلة الثقافة الجديدة، دمشق، الموقع علي الأنترنت: w.iraqcp.org/thakafajadidaww
- مجلة العالم، لندن: العدد ٥٣٤، ١٩٩٥م.
- مجلة العالم، لندن: العدد ٥٨٠، ١٩٩٨م.
- مجلة العالم، لندن: العدد ٦١٩، ١٩٩٨م.
- مجلة المدي، دمشق: العدد ١٩، ١٩٩٨م.
- مجلة الهدف، دمشق: العدد ١٢٦٦، ١٩٩٧م.
- مطبوعة الكتب، دمشق: ١٩٩٧م الموقع علي الأنترنت: www.kuwtob.com/author
- مطبوعة الواحة، الموقع علي الأنترنت: www.alwaha.com/issue